الفقر والفقير (١)

ايها السادة

في الارض سؤال لم تزل تُلقيهِ اطماع الناس في كل عصر من عصور الحياة ولا تصيب لهُ جواباً مقنعاً لان الطمع ليس لهُ طبيعة محدودة فهو يسأل سؤالاً غير محدود و يريد بطبيعتهِ جواباً غير محدود . هذا السؤال احد ثلاثة في حقائق الانسانية الضالّة عن الانسان نفسهِ في غيب الله - يقول ما هي الروح التي تُعطي الحياة . ونقول آمالهُ ما هو الموت الذي يسلب هذه الحياة . ونقول اطماعهُ وما هو الفقر الذي يجمع للروح بين الموت والحياة ؟

كذلك تتساءل ما هو الفقر . على انهُ ما غيّرَ الفقر سؤال في كل نفس انسانية معنىً من جوابهِ ولا غير الفقر قبر الاماني الذي لم يخلق الله نفساً من النفوس الاّ ولها ميتٌ من الأمل في ترابهِ - بلى واذا كان في لغات الاغراء لفظ خالد فانما هو الفقر . واذا كان في هواجس القلوب معنى خالد فانما هو خوف الفقر . واذا كان للدموع الانسانية مصب واحد تلتقي اليهِ من جهات الارض فانما هو بين شاطئين ان جاز أن يكون احدهما الحب فان من المحقق ان احدهما الفقر

ان هذه الارض لتصيح في كل يوم ولا يمكن ان يقال بحق ان فيها عملاً انسانياً عاماً غير طلب المال فأحرِ بها ان تمسي في كل يوم ولا يمكن ان يقال ان فيها معنى انسانياً عاما غير راجع الى الفقر . ويقولون انها تدور حول قرص الشمس وهو قول فلكي او سماوي يصح اطلاقهُ على الارض كهيئتها يوم خلقها الله او على الاقل كما خلقها . اما الحقيقة الارضية فانها تدور حول قرصين قرص اللهب وقرص الذهب . ويا لله وللفقير . انهُ دائماً في الجهة المظلمة

الفقر متى القيتهُ سؤالاً عاد اليك بجواب نفسهِ لانهُ فصل من كل عمر كالشتاء فصل من كل سنة . وليس في الناس جميعاً من يصدق اذا ادعى انهُ لا يعرف الفقر غير اثنين لا خير فيهما : غنيّ جنّ من فرط الغنى وفقير جنّ من فرط الفقر . فالاول لا يعرف الفقر في جنونهِ لانهُ جنّ يغيره والثاني لا يعرفه لانهُ جنّ بهِ ولكن من هو الفقير ؟

من هو هذا الكائن الضعيف الذي احاط بهِ الجهل حتى انهُ ليجهل نفسهُ . وابينا اتجه اشاح عنهُ الناس بوجوههم فلوّوا رؤوسهم وصعّروا خدودهم واموالوا اعناقهم حتى كأن

(١) خطبة القاها مصطفى افندي صادق الرافعي في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا في ١٦ ابريل سنة ١٩١٣

كل رأس في التواء عنقهِ من الشموخ والاستكبار يمثِّل علامة استفهام اقيمت في وجه هذا المسكين او علامة الكار

من هو هذا الحي الذي تنكرت لهُ الدنيا حتى صار فيها كأنهُ نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شيء حتى الطبيعة ولكنهُ يضعف عن شيء واحد وهو الغنى فقضت عليهِ شرائع الاجتماع ان ينفق من حياتهِ اضعاف ما يكسب لحياتهِ . فهو اذا كدح في العمل طوال يومهِ فقوت هذا اليوم عليهِ كثير ، واذا لم يجد ما يطعمهُ الجوع قاطعهُ من جسمهِ فذلك عليهِ يسير ، واذا ذاب في الشمس وجمد في البرد فهو عند الاغنياء ذو طبيعتين لانهُ فقير !

من عسى ان يكون هذا القوي الذي يختصمهُ المجتمع كلهُ ويخشى ان يرتفع فيكون « قاضياً » عليهِ ، ويأخذهُ اليوم بالجناية وهو الذي اوحاها بالامس اليهِ ، ومن هذا الذي يرى المجتمع انهُ اذا قُدِّر للشريعة ان تُلحد في قبر فلن تُدفن الاَّ في هاوية من مظالمهِ ، واذا حكم الله على عصرٍ من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعها وحبالها الاَّ من ذراعيهِ واصابعهِ ؟

من هو الذي يجفُّ ريق الارض لو جفَّ عرقهُ من ترك العمل ، ويخيب املهُ مع ذلك في كل غنيٍّ وهو نفسهُ للاغنياء اكبر اسباب الامل . يُدِلُّون عليهِ بالغنى ولولا انَّ في فضتهم عنصراً من دمعهِ الثمين لما وجدوا لها قيمة ، ولو لم يكن في ذهبهم روح من دمهِ الكريم لما عُدَّ افضل المعادن الكريمة

ذلك ايها السادة هو المدرج في اكفان النسيان ، الذي ليس لهُ في الناس الاَّ منكر ونكير ، ذلك هو البائس في بني الانسان ، الذي يكثر عليهِ القليل ويقل منهُ الكثير ، ذلك هو المتناقض في نفسهِ حتى لا يصغر ان يقال فيهِ صغير ولا يكبر ان يقال كبير ، ذلك هو الذي يشبه ان يكون عملهُ حركة ملكية في الارض لآلة الغنى . ذلك كلهُ هو الفقير

بالله ما تحمل الارض انساناً واحداً لا يخشى عادية الفقر ولا يتعوذ بالله منهُ ولا يرى يومهُ في هذه الارض كأنهُ الآخرة قبل الموت يقوم الفقير بين حسابها ، وعذابها ، ويستعيذ برحيمها ، من جحيمها ، ويفرُّ من امهِ وابيهِ ، وصاحبهِ وبنيهِ ، ويضع في ميزانها آمالهُ ، فلا يزن الاَّ اعمالهُ ، ويستصرخ كل من يمرُّ بهِ فلا يسمع الاَّ قائلاً يقول نفسي نفسي ، ويذكر كل انسان بعودتهِ وكل انسان هنالك قد نسي او انسي ، فينظر فاذا هو في الناس ضائع حتى لا يعرف لهُ محلاً ، ومنفرد حتى لا يجد بينهم لشخصهِ ظلاً ، واذا هو بالسماء وقد التهبت باقدارها حتى كأنها في عينهِ جمرة من البرق الخاطف واذا الارض قد ثارت باهلها كرمادٍ

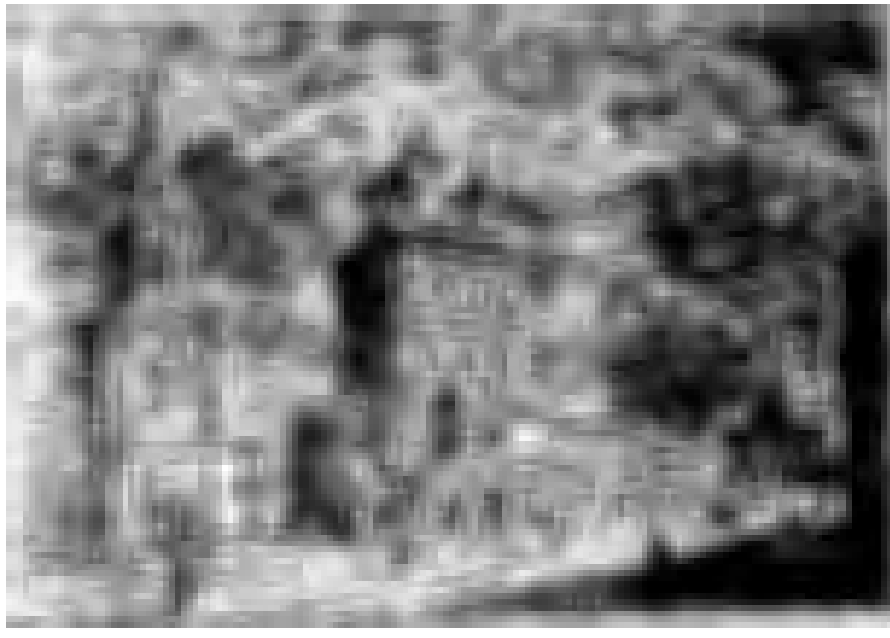

باب هارتفورد

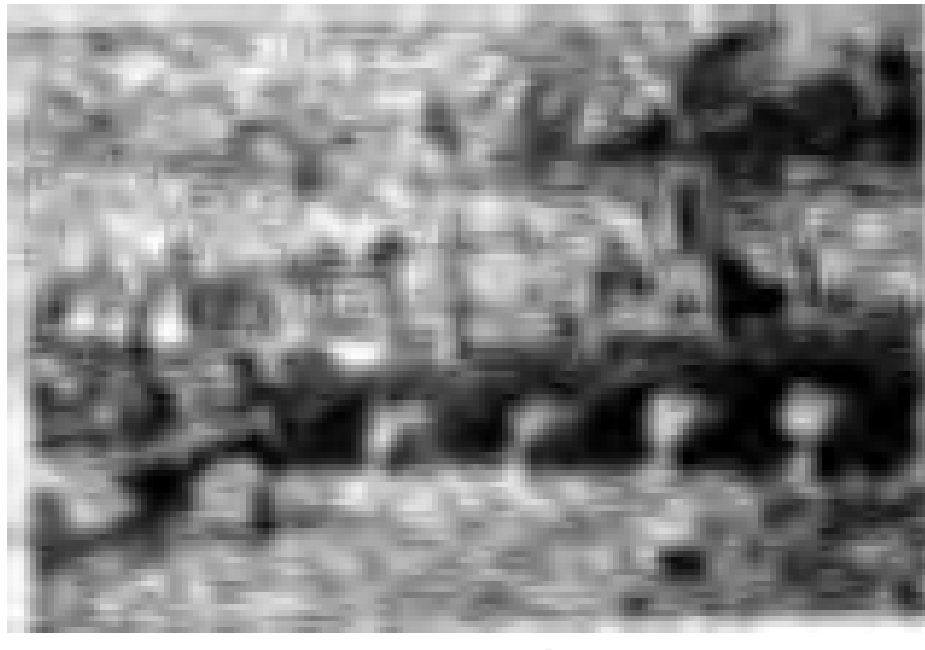

کرملین، موسکو

اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فان اقبل على الناس فرّوا من اماكنهم كأنهُ زلزلة تمشي وان استصرخهم نفروا كأن في صوته قرع الرعد القاصف يالله لا تحمل الارض الأ من يعرف هذا من الفقر بل اشد منهُ ثم يبقى الفقير كأنهُ مسئلة مجهولة في حساب الناس لا همَّ لهم فيها الاَّ كثرة الطرح والضرب ثم الغلط في النتيجة ... وتحاز طبائع الناس كلها في جهة والفقير وحدهُ في جهة حتى لا يرى هذا المسكين في العالم على سعتهِ غير اثنين هو واستبداد الغنى

ترى اين تكون شرائع الآداب إذن . هل هي في ضمائرنا ام هي في كتبها . ام صار الحق كلهُ انسانيًّا بحتًا لي عليك ولك عليَّ وليس لله علينا شيء . وفصلنا انفسنا من السماء وقطعنا الروابط التي كانت تربطنا بها ونبذناها فرثَّت ثم رثَّت فاذا هي على اجسام الفقراء تلك الاسمال البالية

ايتها السادة : الحقوق متى صارت انسانية محضة ليس فيها لله شيء فكل درهم يوضع في يد الانسان يجعل فيها مثقالاً يحكم على عقلهِ وكل رغيف يستقر في معدتهِ يخلق فيها ضميراً يستبد بضميرهِ فينفصل الانسان من الله و يبتعد عنهُ بمقدار ما يقرب من الغنى . وحسبهُ يومئذٍ في اعتبارهِ بعيداً جدًّا عن الله ورحمتهِ ان يقال ان بينهُ و بين ربهِ مسافة الف دينار ... ذلك بان عدل الله يقضي ان يكون للفقير ثروة وانما الجزء المهم من هذه الثروة هو الاحساس في ضمائر الاغنياء . والادلة على هذه القضية (قضية الحقوق الانسانية) كثيرة تفوت الحصر لان كل مرابٍ جمع مالهُ من السحت والربا انما هو في نفسهِ دليل عليها . وليس احد اخيب رجاء ولا احق بان يخيب ممَّن يسأل المرابي احسانًا لوجه الله فان الذي لا يعرف الله فيما يأخذ كيف يعرف الله فيما يعطي

لماذا نرى جفاة الاغنياء يخشون من الفقر على انفسهم فقط ولا يخشون منهُ على الفقير ؟ اظنهم يقولون ان في الارض شيئين بمعنىً واحد . قبور الاموات في باطنها واكواخ الفقراء على ظاهرها . وليس من فرق بينهما في النسيان لانهُ يشملها جميعًا وانما الفرق بينهما في جاليها المتناقضتين . هذا قبر ميت وهذا كوخ حي . نعم صدقوا وبرُّوا وقالوا حقًّا . اليسوا جُفاة القلوب غلاظ الاكباد . والاَّ فما هو الفرق بين موت منسيٍّ كموت الغريب وحياة منسيَّة كحياة الفقير الاَّ على الفرق الذي لا يبالي بهِ هؤلاء الاغنياء حين يكون لاحدهم ظاهر حي وضمير ميت

واظن اولئك الجفاة يقولون : اننا نرى الفقير لا يملك في الارض شيئاً بل هو الحارس على قطعة من ارض الله يطوف حولها يوماً . ففقر فلان التاجر الغني مثلاً ليس هو في الحقيقة ان لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيره من الفقراء وانما هو المتاجرة في الآمال . بعد الاموال . وقبض الريح . بعد قبض الريح . واستقبال الابواب والجدران . بعد استقبال الاصحاب والجيران . وهلم من هذا الباب الذي يُنتج من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة وهي الفقر والمذلة والألم . وانما هو رجل ككل رجال المال متى خرج المال من يد احدهم خرج اسمهُ من افواه الناس وحبهُ من قلوبهم ويكون من اهل السعادة لو خرج هو ايضاً من الدنيا . . .

لعمل الانسان ما أكفرهُ . لو ان غنياً فقد جبلاً من الذهب واصاب رغيفاً لكان ذلك ايسر في مذهب الانسانية من ان لا يجد البائس المعدم رغيفاً يمسك بهِ الرمق ويقيم منهُ باباً حاجزاً يمنع الجوع ان يُدخل اليهِ الموت او يخرج منهُ الروح . ولكن مصيبة الانسانية في اهلها ان الله لم يخلق الاَّ صنفاً واحداً من الناس على ان كل انسان يظن انهُ ذلك الصنف الواحد . فالغنيّ حين يتصور الفقر وهو لا يزال في غناهُ لا يتصور الاَّ اختلال نظام الاقدار . واضطراب حركتي الليل والنهار . بعد ان يهوي كوكب معدمٍ الذي يصاغ من كل ذرة من اشعتهِ دينار . . . ولا يرى بهذا الفقر الأ ان قمةً هابطةً من السماء ولعنةً صاعدة من الارض قد التقتا عند رأسهِ الشامخ في جو كبريائهِ فاصطدمتا بهِ فاذا هو مُكِبٌّ لليدين وللفم عند اقدام الناس واذا هو فقير

هذا هو الفقر في اوهامهم ولكنهُ فقرهم فقط . . . اما سائر الناس فهم عندهم اهل باطل ودعوى . يتخيلون الفقر ويدعونهُ ليعادوا نعمة الغنيّ بالحسد فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ما ليس لهم فقر وقلة الاصحاب فقر وحتى لو ان احدهم سخطتهُ زوجهُ لنسب ذلك الى الفقر وبالجملة فكونهم ليسوا كالاغنياء هو الفقر . فاذا كان الفقر كل شيء فما هو الشيء الذي يسمى الفقر ؟

من اجل ذلك ايها السادة يخشى الاغنياء من الفقر على انفسهم وهم انفسهم لا يخشون منهُ على الفقير . لان هذا الفقير عندهم قد اصبح شخصاً آخر لا صلة لهم بهِ فهو يكذب على الحوادث والحوادث تكذب عليهِ وجزاء سيئتهِ سيئة مثلها . فاذا اخدعوا لهُ فبمقدار ما يتجبون من سخائهِ واذا اعطوهُ كان العطاء صحيحاً بمقدار ما يخدعون . ولا ينظرون لاثر

الله عليه ولكن لاثم على نفسه اذ الحقوق عندهم حقوق انسانية فهيهات ان يختلج في نفس احدهم ان لو شاء الله لرضهُ في ثياب هذا الفقير ولوضع الفقير في ثيابه. اتردُّ مثل هذا الغني الجلف الى الدين ؟ انهُ لهو الدين . اتردهُ الى الانسانية ؟ فمن هو اذن اذا لم يكن من سميم الانسانية وعين اعلها بل انسان هذه العين . اما الحق فاذكر امواله تعلم ان « الحق في يده » ... هكذا هكذا يعطي المال اهلهُ حتى فضائل غيرهم ويسلب الفقر اهلهُ حتى محاسن انفسهم

ايها السادة : لا بد من صلة معنوية بين جميع الناس على ما يكون بين الانسان والانسان من التباين والاختلاف في كل شيء حتى بين الاخوين تلدهما الام الواحدة وهما معا اتفقا في الحياة ومظاهرها فانهما لا بد مفترقان افتراق الكلبين اللذين ارتضعا منها الحياة . فما عسى ان تكون هذه الصلة العامة بين الناس ؟ تقول الشرائع ان الصلة التي تجمع الناس بعضهم ببعض هي العدل . وتقول العلوم انها العقل . وتقول الآداب انها شيء من العدل والعقل يكون الانسانية في الضمير . ونقول الحياة انهُ سبب الانسانية وهو الرحمة . ثم يرعد صوتُ المي يقصف من جهة السماء التي هي مصدر العدل والعقل والانسانية والرحمة فيصيح بكل ما في هذه الاشياء من القوة ويقول كلا . بل هو سبب الرحمة ومظهر الانسانية وكمال العقل وفضيلة العدل وهو الفقر

من الذي وُلد وفي يده قطعة من الذهب ومن الذي مات وفي يده تحويل على الآخرة؟ لقد وسعت اخراجات كل شيء الا هذا فما لنا نجد في البدء والنهاية ثم نختلف في الوسط ؟ ذلك لان بدءنا من طريق الله ونهايتنا في طريق الله ولكن الوسط طريق بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا وبكلمة واحدة طريق بعضنا الى بعض ... وحيثما التقى الانسان بالانسان فإما ان تلاقي المنفعة بالمنفعة والا فالمنفعة بالمضرة فلا بد من انتفاع احدهما او كليهما . ومن ثم يقول البخلاء ما الذي ننتفع به من رحمة الفقير او لا يكفيه انا لا نرزؤهُ شيئاً وانا نُفضل عليه فنمتد الدرهم الذي نمسكهُ عنهُ كأنهُ درهم اخذناهُ منهُ وبذلك لا يضرنا ولا ننفعهُ بشيء ومن جهة اخرى يكون قد نفعنا ونفعناهُ بلا شيء ...

قاتل الله البخل وقبحهُ فما هو الا حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيه المنفعة . وان كان للحواس نوع من الكفر بالله ، فكفر اليد في امساكها ، وان الله لرحيم اذ لم يعاقب البخلاء بما يعاقبون به الناس . فليس بين كل بخيل وبين الهلاك الا ان ينقل الله

الامساك من يدهِ الى جوفهِ ... على ان البخل اذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة بعينها فهو على كل حال نقص من الايمان لان الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما انفقوا مكافأة على فضيلة الاحسان التي هي في الحقيقة فضيلة الاحساس . ثم ان يخلف عليهِ ما انفقهُ اضعافاً مضاعفة إذ المحسن لا يجود بدراهمهِ على الله ولكنهُ يقرضهُ اياها قرضاً حسناً متى وضعها في يد الانسانية الفقيرة . فمن امسك عن الاحسان بخلاً فانما يشك في وعد الله والاَّ فهو في قدرة الله والاَّ في الله نفسهِ . فاكبر البخل عند اكبر الكفر واصغرهُ عند اصغرهِ ، ويوم يخرج الايمان من قلوب الاغنياء تخرج ارواح الفقراء من اجسامهم فيموتون بالجوع وبالعُرْي وبالمرض وغيرها وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو في الحقيقة كفر الاغنياء كفراً في الضمير لا كفراً في اللسان

من هنا ايها السادة لا تجدون الفقر في اي عصر من العصور الاَّ بعض الخلل في نظام الاجتماع الانساني كما ان البخل بعض الخلل في نظام النفس الانسانية . والفراغ الذي يجدهُ الفقير في بيتهِ انما هو موضع النعمة التي بخل بها الغنيّ وهو في الحقيقة موضع التفكك او الكسر في الآلة التي تديرها شريعة الاجتماع

الانسان انما خلق اجتماعياً وهو بشخصهِ لا قيمة لهُ ولا منفعة الاَّ حيث يكون شخصهُ جزءاً من مجموع لأن اليد الواحدة في الجسم ولو كانت يد ملك وكان فيها زمام العالم فانها لا يفارقها عيب اختها المقطوعة

وكل خلل في النظام الاجتماعي فانما مردُّهُ الى طغيان بعض الافراد وجنوحهم الى ان تكون شخصية الواحد منهم من الكبر والعظمة بحيث توازن المجموع كلهُ . بيدَ أن هذه الموازنة الفردية متى اتفقت كانت إخلالاً بالموازنة الاجتماعية لانها تجعل كل حركة من هذا الفرد زلزلة في المجموع كالثقل في احدى كفتي الميزان ان خفَّ سقطت الكفة الاخرى وان ثقل شالت وهو السقوط الى فوق ...

والموازنة الاجتماعية لا تتهيأ الاَّ اذا تطبَّعت قوى المجموع فاندفقت في تيار واحد الى جهة معينة . ولكن الموازنة الفردية لا تستقيم الاَّ اذا جاءت من عكس هذه الجهة فتصدّ قوة المجموع وتبقى دائماً ذات قوة على ضدها . ومن اراد الغلبة فان ضعف خصمهِ يعطيهِ منها اكثر مما تعطيهِ قوة نفسهِ ولا يكون ضعف المجموع الاَّ من حصر الشخص العظيم قوة عقلهِ ونفسهِ وضميرهِ في هذا السبيل الفردي لتكون منهُ الشخصية الهائلة التي تشبه ما كان في تاريخ الوثنية من شخصيات الآلهة وأنصاف الالهة

وقد اضطر الناس لذلك من عهد اجتماعهم على نظام او شريعة الى ابتداع الوسائل للتوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع حتى لا يستشري الداء في الموازنة الاجتماعية فيفسدها ويوقع في نظامها الخلل ولكيلا تكون خيرات المجموع كلها في معدة واحدة وحتى لا يبقى الناس ارقاماً يعدهم النفي المستبد كما يعد دراهمهُ لانهم ثروتهُ الحية. . . غير ان هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل الى عهدنا عهد الاشتراكية العلية الا ثورات في مهما كانت فانها اشبه شيء بجموح الحيوان اذ يحمى انفهُ فيجمح ثم يسترسل في جماحهِ ثم يشتد حتى يمتزَّ صاحبهُ على رأسهِ ويملك نفسهُ منهُ ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرهاً بعد ان جمح راضياً فان لم يسكنهُ الألم من صاحبهِ اسكنهُ التعب من نفسهِ . لان التخلص من شيء في فطرة الانسان لا يكون بالتخلص من انسان بعينهِ كالحرية إن لم تكن في نفوس الشعب المستعبَد لم ينفعهُ كل ما يتمثلهُ من الآمال عند سقوط المستبدّ وزوال عهدهِ فان هذه الآمال الجميلة انما هي بعض الهواء النقي الذي يتنفسهُ تاريخ الحرية المستعبدة ملءَ رئتيهِ حين ينبعث من الحركة التي يحدثها ذلك السقوط

ومن هذا ايها السادة ترون ان الانسان لا يعيش فرداً ولكنهُ حين يموت يموت فرداً. فاذا رأيتم فقيراً منبوذاً من المجتمع منفرداً عنهُ لا يساهمهُ في عملهِ ولا عيشهِ بل كأنهُ يعيش في بقعة مجهولة من فؤادهِ فاعلموا ان اهمال ذلك الفقير انما هو نوع من القتل الاجتماعي

هنا قاتل ومقتول لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثأر لنفسهِ ولا قتل بيدهِ . اما المقتول فانهُ لم يُقتَل في اثم اجترحهُ ولا هو جنى على نفسهِ الضعف الشديد الذي بلغ منهُ حتى جعل اهمال القوي إياهُ كأنهُ حكم عليهِ بالقتل . فترى على من تكون هذه التبعة وهي بالتحقيق ليست على القوي لقوتهِ ولا على الضعيف لضعفهِ ؟

هناك اثنان رجل في الماء وآخر على الشاطئ فاما الذي في الماء فليس بينهُ وبين الموت غرقاً الا نفس واحد مثل ينسلّ بالماء من حلقهِ الى رئتيهِ وهو يرى بعينهِ الموت دائباً في حفر قبرهِ الذي فليس الموج المتناثر حولهُ الا حائكيهِ يد جبار الموت من تراب ذلك القبر وتحثوهُ في رجليهِ بنزق وغضب . بعيدٌ عن الاحياء حتى بَعُدَ عن ان يكون لهُ قبرٌ بينهم ولا صلة بينهُ وبين الحياة الارضية الا نظرات ذلك الرجل القوي الذي يلوح في عين الغريق كأنهُ صخرة على الشاطئ لها قوة وليس لها ارادة ولا يد . ولكن هذا الذي يشعر بصلابة الارض تحت قدميهِ ويشعر بصلابة يدهِ وعضلاتهِ يشعر ايضاً بمعنىً من الصلابة

في قلبهِ . وقد جاء الى الشاطئ ليتنفس تلك النسمات التي يتنهد بها صدر السماء فتكون ارواحاً للامواج تبث فيها حركة الحياة . ما لهُ ولهذا المنظر ؟ سواد يطفو على الماء كأنهُ جثة من المتاع او حذاء قديم او ريش طائر او رأس رجل يغرق وما دفعهُ هو الى الماء فيكون حقاً عليهِ ان يستنقذهُ ولا كان الغوص من صناعتهِ فيعتمل في اخراجهِ ليخرج معهُ اجر عملهِ وهو قويٌّ ولكنهُ قويٌّ لنفسهِ لا للضعفاء وقد جاء ليروّح عن نفسهِ . وانقاذ الغريق عمل آخر . اخذ فيما جاء لهُ وما زال يتنفس ملء صدرهِ من الهواء ومن زفرات الانسانية ومن لعنات ذلك الغريق حتى آن لهُ ان ينصرف وترك الرجل يغرق وهو يقول لا بأس ان ينقص عدد اهل الارض واحداً فهم كثير . ترى على من تكون هذه التبعة ايضاً ؟

اذا اردتم ايها السادة ان تعرفوا ذلك فانكم تستطيعون ان تحققوهُ بدون ان تكونوا شرطة او قضاة او اهل قانون او فلسفة ولكن بان تكونوا من ذوي الانسانية فقط . فان الانسانية لا ترى في الارض الاَّ الضمائر وما هذه الاجسام الاَّ ادوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة الضمير . فالرجل قد مضى يريء اليد ويريء القوة ويريء العقل اذ هو لم يقتل ولم يجنِ على القتيل ولم يحتل لقتلهِ ولكن الانسانية حين تنادي الضمائر باوصافها فتقول ايها الطيب وايها الكريم وايها الشقيُّ وايها السافل تقول لضمير هذا الرجل ايها القاتل

اذا لم يقرّ الاغنياء لانفسهم بالضمائر ولم يلحقوا بها التبعات التي تناسبها فهل هم في ذلك الاَّ كالمجانين لا نقرهم الشرائع بالعقول وتخرجهم من تبعة ما يجنُون على العقلاء لانهم مجانين . وكيف تروض ذلك الغنيُّ الغطُّ الذي يهرُّ في وجوه الفقراء ويصيح بهم كأنهُ ينبحهم بلغة كلبية . . . ولا يفتأ يقذفهم بالالفاظ الجافية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة . . . واذا اعطاهم فانما يعطيهم بقبضة فارغة . . . وهو لا يوقر الاَّ من ثروتهُ كأنهُ لا يرى في الدنيا كلها اسفل من نفسهِ . . . ولا يبالي الاَّ بمن يطمع فيهِ كأنهُ جالس في (مكتب احد المخدّمين) وقد تساوى في الدناءة والكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهرهُ وباطنهُ كأنَّ ضميرهُ لبسهُ مقلوباً . . . وصار امر رضاهُ وغضبهِ واحساسهِ وحيائهِ موقوفاً على ما يكون من امر المعاملات كأن اخلاقهُ ليست في نفسهِ ولكنها في ايدي الناس . . . أليس مثل هذا الغنيّ الدنيء رجلاً عاقلاً ؟ بلى انهُ لاعقل من كل من يمدحهُ ولو كان اكبر علماء الاقتصاد ولكنهُ مجنون الضمير بحيث لا يعقل الاَّ بحرامهِ

سنأتي البقية